تهذيب الأخلاق عند يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني:
دراسة مقارنة

إعداد

عرفان فريد توفيق

الجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا

٢٠٢٢م

تهذيب الأخلاق عند يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني:
دراسة مقارنة

إعداد

عرفان فريد توفيق

بحث متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراة في معارف الوحي والتراث

قسم أصول الدين ومقارنة الأديان
عبد الحميد أبوسليمان كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

أغسطس ٢٠٢٢م

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوع تهذيب الأخلاق من خلال دراسة مقارنةيهدف من خلالها كشف أفكار العالِمَيْن من الخلفية الدينية المختلفة؛ يحيى بن عديّ الذي يمثّل عالما نصرانيا، والراغب الأصفهاني الذي يمثّل عالما مسلما، في مجال الأخلاق خاصة ما يتعلق بأنواعها، والعلة في اختلافها وطرق تهذيبها، كما يحاول أيضا اكتشاف آثار الثقافات الأجنبية في أفكارهما.وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة مجموعة من مناهج البحث العلمي، منها المنهج الاستقرائي حيث اطلع الباحث على المراجع في مجال الأخلاق من الكتب القديمة والحديثة مع التركيز على الكتب التي ألفها كل من العالمين المذكورين في كشف أفكارهما، وهي "تهذيب الأخلاق" لابن عديّ و"الذريعة إلى مكارم الشريعة" و"تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين" للاصفهاني، ويلجأ الباحث كذلك إلى المنهج التحليلي حيث قام بتحليل الأفكار التي وردت في المراجع لاستخراج النتائج التي أراد أن يتوصل إليها الباحث، كما استخدم منهج المقارنة ليقارن ما طرحه العالمان من الأفكار والتطبيقات في تهذيب الأخلاق. وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج، منها أن الأخلاق عند يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني مصدرها القوى الثلاث في نفس الإنسان، وهي قابلة للتغيير، ومن ثم يمكن تهذيبها، ويكون تهذيبها من خلال استيلاء الإنسان على تلك القوى حتى يصدر منها الأخلاق المحمودة. كما توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى أن للثقافات الأجنبية تأثير في أفكار العالمين المذكرين، كما أن لهما تأثير في معاصريهما من العلماء والمفكرين خاصة في مجال الأخلاق.

ABSTRACT

This study deals with the topic of refinement of characters through a comparative study which aims to discover the thought of two prominent scholars from different religion; Yaḥyā Ibn ʿAdī who represented as Christian scholar and Al-Rāghib Al-Iṣfahānī who represented as Muslim scholar. The study attempts to unveil the definition of characters, the causes of its emergence whether it is good or bad, possibility to change and the way to refine those characters according to them. It also aims to reveal the influences of foreign cultures on both of these scholars. To achieve these objectives, this study employs qualitative methodology including textual analysis to explore their through the book of Ibn ʿAdī *"Tahdhīb al-Akhlāq"* and the book of Al-Iṣfahānī namely *"Al-Dharīʿah Ilā Makārim al-Sharīʿah"* and "*Tafṣīl al-Nash'atayn wa Taḥṣīl al-Sa'ādatayn*" and other books related to the issue. The critical analysis is also used to criticize the issue presented by scholars in their books as well as comparative analysis to compare the main issue related to the refinement of characters. The findings show that the characters according to Yaḥyā Ibn ʿAdī and Al-Rāghib Al-Iṣfahānī are subject to change and therefore it can be refined. It also reveals that there are three kinds of soul possessed by human being, they are the source of good or bad characters; the rational soul (*al-nafs al-nāṭiqah*), the irascible soul (*al-nafs al-ghaḍabiyyah*), and the concupiscent soul (*al-nafs al-shahwiyyah*). The study also finds that there is influence of foreign cultures in the thought of Yaḥyā and Al-Iṣfahānī. Both scholars have also exerted influence on some of their disciples and thinkers, especially in the field of ethics.

APPROVAL PAGE

The thesis of Irfan Farid Taufik has been approved by the following:

_____
Wan Mohd. Azam Wan Mohd. Amin
Supervisor

_____
Ismail Mamat
Co-supervisor

_____
Abdul Salam Muhamad Shukri
Internal Examiner

_____
Zaid Bin Ahmad
External Examiner

_____
Che Zarrina Binti Sa'ari
External Examiner

_____
Mohammad Laeba
Chairman

DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Irfan Farid Taufik

Signature: Date: …….

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٢٢م محفوظة لـ: عرفان فريد توفيق

تهذيب الأخلاق عند يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني:
دراسة مقارنة

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

٤- سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.

٥- سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكد هذا الإقرار: عرفان فريد توفيق

التوقيع:..... ... التاريخ: .....

إلى من حملتني بالصبر حتى أحضر إلى الوجود

ومدّت لي بالرحمة والعون أيام كفاحي لإتمام هذا الجهد

وإلى من ربّاني في الصغر على حب العلم

وأرشدني إلى التمسك بحبل خالق الأنام

والدتي الحنونة ووالدي الحنون

وإلى من رافقتني أيام شدائدي

زوجتي الغالية إيرنا ديفي سولكسناتي

وأفلاذ كبدي جندي وتقي وحسبي وهنية

قرة عيني التي صبرت على طول انتظار

وإخوتي وأخواتي الذين لوّنوا حياتي بالسرور أيام الطفولة

أهدي هذه الرسالة

راجيًا المولى أن يجعلها عملًا صالحًا

ينفع الإسلام والمسلمين

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي تمّ بتوفيقه وامتنانه هذا العمل، والصلاة والسلام على خير خلقه الذي علم أمته الفأل، وعلى من سار على نهجه من بعده بكل شجاعة وأمل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يحاسب في كل عمل. أما بعد، فيسرّني في هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى مشرفي الأول الأستاذ المشارك **وان محمد عزام بن وان محمد أمين** الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة مهما كان من طول المدة والصعوبات في إتمامها، فقد كان كريمًا معي في علمه ووقته وخلقه وتواضعه وملاحظاته القيمة، كما أتقدم أيضًا بجزيل الشكر والعرفان إلى مشرفي الثاني الدكتور **إسماعيل بن مامت** الذي هيّأ لي وقته لمراجعة هذا البحث، وكذلك يتوجه الشكر والعرفان أيضًا إلى هيئة التدريس، ورئيس قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، وعميد كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، وكل من له إسهام في إنجاز هذا العمل المتواضع، عسى الله أن يجعله مقبولًا عنده ويجعله في ميزان حسناتي وحسناتهم يوم القيامة، فأسأل الله لي ولهم التوفيق والسداد، وجزاهم الله عني خير الجزاء.

فهرس محتويات البحث

ملخص البحث ..... ب

ملخص البحث بالإنجليزية ..... ج

صفحة القبول ..... د

صفحة الإقرار ..... هـ

صفحة حقوق النشر ..... و

الإهداء ..... ز

الشكر والتقدير ..... ح

فهرس محتويات البحث ..... ط

الفصل الأول: خطة البحث وهيكله العام ١

مقدمة ١

مشكلة البحث ٤

أهمية البحث ٥

أسئلة البحث ٥

أهداف البحث ٦

حدود البحث ٦

منهج البحث ٧

الدراسات السابقة ٨

الفصل الثاني: نبذة من سيرتي يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني ١٩

تمهيد ١٩

المبحث الأول: يحيى بن عدي.....١٩
المطلب الأول: حياته ونشأته.....١٩
المطلب الثاني: الظروف السياسية والعلمية والاجتماعية في عصره.....٢٢
المطلب الثالث: عقيدته.....٣٥
المطلب الرابع: مؤلفاته.....٣٧
المطلب الخامس: كتاب "تهذيب الأخلاق" ونسبته إليه.....٤١
المطلب السادس: وفاته.....٤٣
المبحث الثاني: الراغب الأصفهاني.....٤٣
المطلب الأول: حياته ونشأته.....٤٣
المطلب الثاني: الظروف السياسة والاجتماعية والعلمية في عصره.....٤٥
المطلب الثالث: عقيدته.....٤٥
المطلب الرابع: مؤلفاته.....٤٧
المطلب الخامس: وفاته.....٤٨

الفصل الثالث: الأخلاق عند يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني ٤٩
المبحث الأول: الإنسان عند يحيى بن عدي.....٥٠
المطلب الأول: ماهية الإنسان.....٥٠
المطلب الثاني: القوى الثلاث عند الإنسان.....٥٢
المطلب الثالث: أنواع الإنسان.....٥٤
المطلب الرابع: الإنسان التام.....٥٧
المبحث الثاني: الإنسان عند الراغب الأصفهاني.....٥٩
المطلب الأول: ماهية الإنسان وكيفية تركيبه.....٥٩
المطلب الثاني: أنواع قوى الإنسان.....٦٢
المطلب الثالث: أصناف الناس.....٦٤
المطلب الرابع: شرف الإنسان وكماله.....٦٧

المبحث الثالث: الأخلاق عند يحيى بن عدي ٦٩
المطلب الأول: تعريف الأخلاق وحالاتها ٦٩
المطلب الثاني: العلة في اختلاف الأخلاق ٧٠
المطلب الثالث: الأخلاق الحسنة ٧٦
المطلب الرابع: الأخلاق الرديئة ٨٤
المطلب الخامس: الأخلاق التي تكون في بعض الناس فضيلة وفي بعضهم
رذيلة ٩١
المبحث الرابع: الأخلاق عند الراغب الأصفهاني ٩٤
المطلب الأول: تعريف الأخلاق ودلالاتها.....٩٤
المطلب الثاني: العلة في اختلاف الأخلاق ٩٦
المطلب الثالث: الأخلاق المحمودة..... ١٠١
المطلب الرابع: الأخلاق المذمومة ١٢٠
المبحث الخامس: المقارنة بين يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني في الأخلاق. ١٢٧
المطلب الأول: معيار إنسانية الإنسان ١٢٨
المطلب الثاني: تقسيم قوى الإنسان ١٣٤
المطلب الرابع: تعريف الأخلاق وتقسيمها إلى المحمودة والمذمومة ١٤١
المطلب الخامس: العلة في اختلاف الأخلاق ١٤٤

الفصل الرابع: تهذيب الأخلاق عند يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني ١٥١
تمهيد..... ١٥١
المبحث الأول: تهذيب الأخلاق عند يحيى بن عدي ١٥١
المطلب الأول: إمكانية تغيير الأخلاق..... ١٥١
المطلب الثاني: ضرورة تهذيب الأخلاق ١٥٣
المطلب الثالث: طرق تهذيب الأخلاق ١٥٥
المطلب الرابع: دور الشرائع والسنن في تهذيب الأخلاق ١٦٨

المبحث الثاني: تهذيب الأخلاق عند الراغب الأصفهاني ١٧٠
المطلب الأول: إمكانية تغيير الأخلاق..... ١٧٠
المطلب الثاني: ضرورة تهذيب الأخلاق ١٧١
المطلب الثالث: الطريق إلى تهذيب الأخلاق ١٧٣
المطلب الرابع: دور الشرع في تهذيب الأخلاق..... ١٧٦
المبحث الثالث: المقارنة بين يحي بن عدي والراغب الأصفهاني في تهذيب
الأخلاق..... ١٧٧
المطلب الأول: إمكانية تغيير الأخلاق..... ١٧٨
المطلب الثاني: الغاية من تهذيب الأخلاق ١٧٩
المطلب الثالث: طرق تهذيب الأخلاق ١٨٠
المطلب الرابع: دور الشرع في تهذيب الأخلاق..... ١٨٣

الفصل الخامس: آثار الثقافات الأجنبية والدينية عند يحي بن عدي والراغب الأصفهاني وتأثيرهما في معاصريهم ١٨٥
تمهيد..... ١٨٥
المبحث الأول: آثار الثقافات الأجنبية عند يحي بن عدي والراغب الأصفهاني ١٨٦
المطلب الأول: دخول الثقافات الأجنبية في العالم الإسلامي..... ١٨٦
المطلب الثاني: آثار الثقافة اليونانية عند يحي بن عدي والراغب الأصفهاني
..... ١٨٧
المبحث الثاني: آثار يحي ابن عدي والراغب الأصفهاني في معاصريهما..... ١٩٠
المطلب الأول: أثر يحي بن عدي في مسكويه ١٩٠
المطلب الثاني: أثر الراغب الأصفهاني في الغزالي ١٩٦
المبحث الثالث: الآثار الدينية في فكر يحي بن عدي والراغب الأصفهاني
الأخلاقي..... ٢٠٠
المطلب الأول: آثار العقيدة اليعقوبية عند يحي بن عدي ٢٠٠

المطلب الثاني: آثار العقيدة الإسلامية عند الراغب الأصفهاني..... ٢٠١

الخاتمة.....٢٠٤

نتائج البحث..... ٢٠٤

التوصيات..... ٢٠٦

قائمة المصادر والمراجع.....٢٠٨

الكتب العربية: ٢٠٨

الكتب الإنجليزية:..... ٢١٢

الكتب الملايوية:..... ٢١٤

الرسائل الجامعية: ٢١٤

المواقع الإلكترونية: ٢١٥

الفصل الأول
خطة البحث وهيكله العام

مقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، أما بعد:

فإن موضوع الأخلاق أصبح من المحاورات الأساس في مجال الفلسفة تناوله جهابذة الفلاسفة والمفكرين على مر العصور، فقد نتج عن ذلك ظهور المفاهيم والنظريات التي تؤثر في حياة الشعوب وتوجّه مسارهم حسب المفاهيم والنظريات التي تبنوها، وما حدث في حياة الأمم والشعوب من الحياة السعيدة المنتظمة أو الحياة السرسة والإباحية، فإن لتلك المفاهيم والنظريات إسهامًا في تشكيلها وتوجيهها، لذلك فإن المحاورة في موضوع الأخلاق في سبيل بنائها وتقويمها أصحبت لازمة، ولا سيما لدى المسلمين الذين كانت الأخلاق من أهم تعاليم دينهم، فهذا النبي الأمين المرسل إليهم، محمّد ﷺ، قد أكّد بلسانه الطاهر أن إتمام مكارم الأخلاق هو الهدف الأسمى من رسالته؛ قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[1].

فالإسلام يجعل الأخلاق أساسًا لسعادة الإنسان وارتقاء حضارته، بل ورد في أحاديث كثيرة ربط الإيمان بالأخلاق الحسنة كحفظ اللسان وإكرام الضيف والجار وما إلى ذلك كثير، ثم إن الله قد نبّه في مواضع كثيرة من القرآن إلى أهمية الالتزام بالأخلاق الحميدة وحذّر من الانهماك في الأخلاق الذميمة، وقد ربط الله وقوع العذاب عند الأمم السابقة بممارستهم الأخلاق المحرمة التي حذّرهم منها أنبياؤهم، كما حدث مع أقوام لوط وعاد وثمود.

قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَد مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَة مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْم مُّسْرِفُونَ ٨١ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاس يَتَطَهَّرُونَ ٨٢ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا

[1] رواه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في "**الأدب المفرد**"، (بيروت: دار البشائر، ط٤، ١٤١٧/١٩٩٧م)، رقم ٢٧٣، ص١٠٤.

ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٨٤﴾ سورة الأعراف: ٨٠-٨٤.

على هذا النمط اشتهر عند العرب قول أحمد شوقي[٢]:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمُو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والقول بأهمية الأخلاق ما كان مختصًّا به المسلمون فحسب، وإنما عرفه غيرهم من الأمم السابقة والمعاصرة واللاحقة، فلا عجب إذ أسهم كثير من العلماء والمفكرين في هذا المجال، سواء من المسلمين وغيرهم، بطرح الأفكار والنظريات الأخلاقية كما حاولوا تقويمها وتطويرها لتكون مسلكًا سار عليه الأمة والشعوب في تدبير حياتهم والحصول على سعادتهم الدنيوية والأخروية.

فهذا الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، من رجال الفكر الإسلامي، قد أسهم في هذا المجال بطرح أفكاره ونظرياته الأخلاقية المهمة، فقد تكلم عن الإنسان الذي هو المرتكز في موضوع الأخلاق من حيث ماهيته، وبيّن مدى أهمية الأخلاق وتهذيبها في حياة الإنسان ليكون مهيئا لحمل مسؤوليته خليفة في هذه الأرض، وله في هذا المجال دور مبرز بتناوله هذا الموضوع على نمط علمي من منظور إسلامي، وإن كان إلى حد ما يتأثر أيضًا ببعض المنتجات الفكرية اليونانية، إلا أنه اعتمد في طرح أفكاره ونظرياته على الأيات القرآنية واستشهد بالأحاديث النبوية ليؤكد أفكاره وأطروحاته، ولكنه من سوء حظه، لم يُعن عناية كافية كما عُني به غيره من العلماء والمفكرين من مثل الكندي والفارابي والغزالي وغيرهم[٣].

وما طرحه الأصفهاني من النظريات الأخلاقية ولا سيما ما يتعلق بمفهوم الإنسان وتهذيب الأخلاق له قيمته العلمية والعملية لأنه ليس مجرد أفكار وأطروحات نظرية، بل له جوانب تطبيقية فيما لها صلة بتكوين أخلاق الإنسان الذي هو المحور الأساس في الكلام عن

---

[٢] **أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك** (١٦ أكتوبر ١٨٦٨ – ١٤ أكتوبر ١٩٣٢) كاتب وشاعر مصري يعد من أعظم وأشهر شعراء العربية في العصور الحديثة، يلقب بـ "أمير الشعراء". انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/أحمد_شوقي.

[٣] وقلة العناية به من قبل الباحثين تنتج عن الانحصار في دائرة بعض فلاسفة المسلمين التقليديين الذين كثر الاهتمام بهم، وتشعبت حولهم الدراسات والأبحاث، أمثال: الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم. انظر: مصطفى حلمي، **الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام**، (بيروت: دار الكتب العلمية: ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ص١٤٥.

الأخلاق، كما ظهرت قيمته في معرفة الطرق والوسائل التي توصل إلى الهدف الأسمى من دراسة علم الأخلاق وهو تزكية النفس وتهذيب سلوك الإنسان نفسه، فنظرًا لهذه القيمة، يرى الباحث أنه من الضروري استخراج الأفكار والنظريات، وكذلك المفاهيم والطرق والوسائل وما إلى ذلك فيما يتعلق بحقيقة الإنسان وتهذيب أخلاقه، وقد لفت الأصفهاني نظر الباحث للكشف عن أفكاره ونظرياته الأخلاقية لأن له جهدًا كبيرًا في هذا المجال، وهو بطريقة عرضه يعبّر عن النظريات الأخلاقية الإسلامية، ولم يُعنَ به عناية كافية من قِبَل الباحثين في مجال علم الأخلاق مما يدفع الباحث إلى دراسة هذا الموضوع من خلال كتبه.

وجدير بالذكر هنا أن موضوع تهذيب الأخلاق قد اهتم به جهابذة العلماء من مختلف الأديان من مثل ابن حزم الأندلسي[٤] وغيره من علماء المسلمين ويحيى بن عدي[٥] من رواد الفكر النصراني، فهذا الموضوع ليس فقط موضوع الحوار لدى المفكرين المسلمين، وإنما لدى غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى السماوية.

فهذا يحيى بن عديّ (ت ٣٦٤ هـ)، أحد رواد الفكر النصراني، له كتاب قيم في هذا المجال تكلم فيه عن أهمية تهذيب الأخلاق، وهذا الكتاب سماه بالموضوع الذي تناوله وهو كتاب "تهذيب الأخلاق"، له قيمته العلمية في معرفة الأخلاق المحمودة والمذمومة من حيث أنواعها وسبب اختلافها وطريقة تهذيبها، كما تناول ابن عديّ في هذا الكتاب مفهوم الإنسان التام وكيفية الوصول إلى هذه المرتبة، وذلك عن طريق تهذيب الأخلاق.

والراغب الأصفهاني ويحيى بن عديّ وإن تباينا من حيث زمان حياتهما، وهو ما يقارب مئتي عام، إلا أن بينهما شبهًا في أنهما من المفكرين الأخلاقيين الذين لهم أثر في تشكيل أفكار المفكرين الآخرين الذين عاصروهم أو لحقوهم.

فيحيى بن عديّ تأثر به صاحبه مسكويه الذي اشتهر بكتابه **"تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق"** وهو عنوان كتاب ابن عديّ نفسه، فهذا أثر واضح من تأثير يحيى بن عدي في

---

[٤] ولد ابن حزم بقرطبة عام ٣٨٤هـ. وتوفي عام ٤٥٦هـ. وله كتاب صغير في تهذيب الأخلاق تحت عنوان "مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق" مطبوع بتحقيق أبو حذيفة إبراهيم بن محمد. وقامت بطباعته ونشره مكتبة الصحابة بطنطا.

[٥] ولد أبو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المعروف بيحيى بن عدي في تكريت، وهو سرياني يتنمي إلى طائفة اليعاقبة. توفي عام ٣٦٤هـ. وله كتاب في هذا المجال سماه كتاب "تهذيب الأخلاق". هذا الكتاب وإن اختلف في نسبته إليه إلا أن الراجح عند المحققين أنه له، وليس للجاحظ كما ذهب إليه بعض المحققين.

معاصريه، أما الراغب الأصفهاني فقد كان لأفكاره ونظرياته تأثير في الإمام الغزالي الذي اعتنى بكتاب "**الذريعة إلى مكارم الشريعة**" للأصفهاني. وقد درس ياسين محمد –مترجم كتاب "**الذريعة**" إلى الإنجليزية[٦]– هذا الكتاب وقارنه بكتاب "**إحياء علوم الدين**"، فلاحظ آثارًا لمنهج الأصفهاني في هذا الكتاب الذي أصبح عمدة من أعمال الإمام الغزالي، كما لاحظ أيضًا آثارًا لأفكار الأصفهاني في كتاب "**مشكاة الأنوار**"، وكتاب "**ميزان العمل**" وغيرها من كتب الغزالي.[٧]

بناء على هذا، يرى الباحث أن الدراسة في أفكار هذين العلمين والمقارنة بينهما في مفهوم الإنسان وتهذيب الأخلاق مشروع لا بد من القيام به، لأنه سيعطي للدارسين لهذا الموضوع والقائمين بمهمة التربية الأخلاقية ثقافة جديدة وقواعد مهمة، كما أنه سيعطي لهذا البحث قيمته العلمية والعملية في هذا المجال، ولا سيما أن المقارنة التي سيقوم بها هذا البحث تكون في رواد الفكر الأخلاقي من الخلفية الدينية المختلفة: الإسلام والنصرانية، فالراغب الأصفهاني يمثّل رائدًا في الفكر الأخلاقي الإسلامي، ويحيى بن عدي يمثّل رائدًا في الفكر الأخلاقي النصراني.

مشكلة البحث

يتضح مما تقدم في المقدمة أن إشكالية هذا البحث تكون **أوّلًا** في ضرورة كشف الأفكار والنظريات تتعلق بحقيقة الإنسان وتهذيب أخلاقه، وذلك من خلال أعمال المفكرين الأخلاقيين المعتبرين، سواء من المسلمين وغير المسلمين، حتى تستخرج منها وسائل وقواعد يعتمد عليها الباحثون والقائمون بمهمة التربية الأخلاقية في سبيل الوصول إلى كمال الإنسان وتحقيق أهداف وجوده، و**ثانيًا** في قلة العناية بأعمال بعض العلماء والمفكرين في مجال الأخلاق كالراغب الأصفهاني الذي له إسهامات في أكثر من مجال علمي، فالراغب الأصفهاني كان مشهورًا بأنه أديب لغويّ مفسّر، ولكنه لم يعن به الدارسون في مجال الأخلاق عناية كافية مع أنه كان أيضًا

---

[6] Yasien Mohamed, *The Path to Virtue: The Ethical Philosophy of Al-Rāghib Al-Isfahānī: An Annotated Translation, with Critical Introduction, of Kitāb al-Dharī'ah Ilā Makārim al-Sharī'ah,* (Kuala Lumpur: International Islamic Thought and Civilization ISTAC, 2006).

[٧] انظر: المرجع نفسه: ص١٨٩، ٢٢٧، ٢٣٧.

مفكرًا أخلاقيًّا وله إسهام في هذا المجال، فعليه حاول هذا البحث أن يكشف عن الراغب الأصفهاني ونظرياته الأخلاقية فيما يتعلق بالانسان وتهذيب الأخلاق من خلال كتبه مع المقارنة بينه وبين يحيى بن عدي لتعرف مكانته بين المفكرين الأخلاقيين، و**ثالثا** في معرفة المسلك الذي يسلكه كل منهما في عرض الموضوعات الأخلاقية خاصة موضوع تهذيب الأخلاق، فهل سار كل واحد منهما على مسلك متميز أم يسلك مسلكا تقليديا وراء ما قد سلكه سابقوهما من الفلاسفة والمفكرين، وهل يتأثر كل منهما بأفكار أخرى خارجية أو دينية وما آثار أفكارهما عند معاصريهما.

أهمية البحث

تبرز أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

أوّلًا: أنه يتناول موضوعا اهتم به العلماء والمفكرون في مجال الأخلاق على مر العصور، وهو موضوع تهذيب الأخلاق.

ثانيًا: الإضافات إلى ما توصل إليه الباحثون في مجال الأخلاق من الأفكار والنظريات الأخلاقية بما فيها من الأسس والقواعد، وكذلك الطرق والوسائل في تهذيب الأخلاق من خلال المقارنة بين المفكرين الأخلاقيين، وهما الراغب الأصفهاني ويحيى بن عدي.

ثالثًا: القيمة الزائدة التي يعطيها هذا البحث في النظرية الأخلاقية، لأنه يقوم على المقارنة بين العالمين الأخلاقيين من الخلفية الثقافية والدينية المختلفة. فالراغب الأصفهاني كان معبّرًا عن أحد رواد الفكر الأخلاقي الإسلامي ويحيى بن عدي معبّرًا عن أحد رواد الفكر الأخلاقي النصراني.

رابعًا: الفوائد من هذا البحث التي تعمّ المسلمين وغير المسلمين مما يفتح المجال لهم للاستفادة من النتائج التي سيأتي بها هذا البحث لأنها مستخرجة من المصادر المعتبرة لدى الجهتين.

أسئلة البحث

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما الظروف المحيطة بيحيى بن عدي والراغب الأصفهاني وخلفياتها التي كانت تساهم في تكوين فكرهما الأخلاقي؟
٢. ما الأخلاق عند يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني وما الفرق بينهما؟
٣. كيف يكون تهذيب الأخلاق عند يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني؟ وما الفرق بينهما؟
٤. هل هناك آثار فلسفية خارجية أو دينية في فكر يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني الأخلاقي؟ وما موقفهما منها؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

١. دراسة الظروف المحيطة بيحيى بن عدي والراغب الأصفهاني وخلفياتها التي كانت تساهم في تكوين فكرهما الأخلاقي.
٢. بيان مفهوم الأخلاق عند يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني والمقارنة بينهما.
٣. تحليل أفكار يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني ونظرياتهما في كيفية تهذيب الأخلاق والمقارنة بينهما.
٤. تحرّي التأثيرات الفلسفية الخارجية في أفكار يحيى بن عدي والراغب الأصفهاني ونظرياتهما ومعرفة موقفهما من تلك التأثيرات.

حدود البحث

١. نظرًا لتنوع مؤلفات الأصفهاني في موضوعاتها مما يحتوي على الأدب واللغة والتفسير والأخلاق كما تقدم ذكره، فإن هذا البحث سوف يقتصر على دراسة نظرياته الأخلاقية.

٢. وليكون البحث معبّرًا عن فكر الأصفهاني، سوف يعتمد على مؤلفات الأصفهاني فيما يتعلق بموضوع الأخلاق، من مثال كتاب "**الذريعة إلى مكارم الشريعة**"[٨] و "**تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**"[٩]، أما مؤلفاته في مجالات أخرى، فلا يرجع إليها إلا فيما له صلة بموضوع الأخلاق.

٣. أما بالنسبة للمقارنة بأفكار يحيى بن عدي، فسوف تقتصر المقارنة بدراسة كتابه "**تهذيب الأخلاق**"[١٠].

منهج البحث

يتوسّل الباحث في دراسة هذا الموضوع المناهج الآتية:

١. **المنهج الاستقرائي**: يتقصّى الباحث ما قاله الراغب الأصفهاني ويحيى بن عدي في كتبهما ليكشف أفكارهما ونظرياتهما في تهذيب الأخلاق.

٢. **المنهج التحليلي**: يرجع الباحث إلى الكتب التي تتعلق بهذا البحث ولا سيما التي ألفها الأصفهاني وابن عدي في مجال الأخلاق ويحلّل الأفكار التي وردت فيها لاستخراج النتائج.

---

[٨] أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق ودراسة: أبو اليزيد العجمي، (القاهرة: دار الصحوة، المنصورة: دار الوفاء، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

[٩] أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، تقديم وتحقيق: عبد المجيد النجار.

[١٠] يرجع الباحث في هذه الدراسة إلى كتاب "**تهذيب الأخلاق**" ليحيى بن عدي الذي قام بتحقيقه سمير خليل اليسوعي، وكتاب آخر قام بدراسته جاد حاتم. راجع، يحيى بن عدي، **تهذيب الأخلاق**، تحقيق: سمير خليل اليسوعي، (بيروت: مركز التراث العربي المسيحي، د.ط، ١٩٩٣م). وراجع يحيى بن عدي، **تهذيب الأخلاق**، دراسة ونص: جاد حاتم، (بيروت: دار المشرق، د.ط، ٢٠١١م).

[١٠] المرجع نفسه، ص١٦.

٣. **منهج المقارنة:** يقارن الباحث بين أفكار الأصفهاني وابن عدي ونظرياتهما فيما يتعلق بتهذيب الأخلاق لمعرفة حالات الشبه والفرق بينهما مع الاستفادة منها للوصول إلى النتائج.

الدراسات السابقة

إن الدراسة في أفكار الأصفهاني ونظرياته في مجال الأخلاق ليست معتادة لدى الدارسين اعتيادهم دراسة الجوانب الأخرى من ثقافته كاللغة والأدب والتفسير، ولا عجب في هذا لأنه لغويّ أو مفسّر أكثر شهرة من أنه مفكّر أخلاقيّ، فكانت الدراسة حول أفكاره ونظرياته الأخلاقية أكثر ما تكون في إشارة موجزة من مبحث كتاب، أو من خلال تمهيد مهّده محقّق لكتابه أو تقديم قدّمه مترجم، أما الدراسة لإخراج بعض أفكاره ونظرياته في مجال الأخلاق بخاصة فلم تزل محدودة معدودة، ولا سيما عن طريق المقارنة بالأعلام الآخرين من المفكرين الأخلاقيين من مثل يحيى بن عدي وغيره. والمقارنة بين هذين العالمين لها ميزة في إعطاء صورة واضحة في المسلك الذي سلكه كل منهما في تناول هذه المادة. فمن رجال الفكر الأخلاقي منهم من يلجأ إلى مسلك فلسفي محض دون اجتلاب أي وجهة من المفاهيم الدينية ومنهم من يعتمد في عرض أفكاره على المنابع الدينية ومنهم من يجمع بين الأمرين. ولعل ما أشار إليه محمد دراز يعطي للدارسين بعض هذه الصورة بحيث تتضح من خلاله مكانة هذين العالمين اللذين يعمد الباحث إلى القيام بالمقارنة بينهما.

أعطى محمد عبد الله دراز في كتابه "**دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن**"[١١] الذي يعتمد في دراسته على المقارنة بين حصيلة الفكر الأخلاقي الغربي وحصيلة الفكر الأخلاقي الإسلامي، صورة مجملة عما توصل إليه الغرب في المباحث الأخلاقية وما مكانة المباحث الأخلاقية الإسلامية منها. وقد لاحظ دراز من خلال نظرته السريعة على مؤلفات علم الأخلاق العام –التي كتبها علماء غربيون– فراغًا هائلًا وعميقًا، نشأ عن صمتهم المطلق عن علم الأخلاق القرآني. وتلك المؤلفات في الواقع تذكر باختصار،

[١١] محمد بن عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

أو بإفاضة، المبادئ الأخلاقية، كما ارتأتها الوثنية الإغريقية، ثم أديان اليهودية والمسيحية. ولكنها حين تنتهي من عرض هذه المراحل الثلاثة، تنتقل بغتة إلى العصور الحديثة، في أوروبا، مغفلة كل ما يمس الدستور الأخلاقي في الإسلام،[١٢] فلم يكن لديهم اهتمام بأن يصوغ قواعده العلمية ويقدمها في صورة دستور كامل.[١٣]

وفي جانب آخر، ألقى دراز نقده للتعاليم الأخلاقية عند المسلمين أنهالم تعرف حتى الآن سوى نوعين من التعاليم الأخلاقية، وهي إما نصائح عملية، هدفها تقويم أخلاق الشباب، وإما وصف لطبيعة النفس وملكاتها، ثم تعريف للفضيلة وتقسيم لها، مرتب في غالب الأمر بحسب النموذج الأفلاطوني أو الأرسطي، فلم يكن هنالك سوى كتب إنسانية محضة، أجهد مؤلفوها أنفسهم، فاستودعوها ثمرات تأملاتهم، ودراساتهم الفلسفية، ولم يظهر فيها النص القرآني كلية، أو هو لا يكاد يظهر إلا بصفة ثانوية. [١٤] وقد يظهر هذا المسلك في كتاب الأصفهاني سواء في "**الذريعة إلى مكارم الشريعة**" أو في "**تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**". لكن يتميز الأصفهاني في عرضه النظريات الأخلاقية بإيراد النصوص القرآنية لا بصفة ثانوية كما وصفه دراز، وإنما بصفة مبدئية مع إضافات أفكار أخرى أخلاقية خارج عن ما قد توصل إليه الآخرون. ففي تقسيمه لقوى الإنسان، مثلا، لا يختصر على القوى الثلاث التي توصل إليها أفلاطون، بل يزيد قوى أخرى مستنبطة من النصوص القرآنية كما سيأتي أكثر وضوحا من خلال المباحث التي سيعرضها الباحث في هذه الدراسة.[١٥]

ثم أضاف دراز في تقييمه للمسلك الفلسفي الذي يعمد عليه كثير من المفكرين بأنه فكر منطقي، معتمد على مجرد ومضات الذهن الطبيعي، ينتقل فيه المفكر من حكم إلى آخر، بمنهج معين، للتوصل إلى إقرار نظام معين، قادر على تفسير الأشياء في عمومها، أو تفسير وضع معين لأحد هذه الأشياء. وبدهي أن هذا الجهد العقلي وهذه الخطوة التدريجية لا يتناسبان مع ضوء وحي، يغمر النفس دون بحث أو توقع، ويقدم لها على حين فجأة جملة من المعرفة،

---

١٢ دراز، **دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن**، ص ٢.

١٣ المصدر نفسه، ص ٣.

١٤ المصدر نفسه، ص ٤.

١٥ انظر: الأصفهاني، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، ص ٧٧.

لا تسبق فيها المقدمات نتيجتها، ولا المقدم تاليه.[١٦] ولعل هذا المسلك ينطبق عند كثير من المفكرين الأخلاقيين ومنهم يحي بن عدي. وبالاطلاع السريع لكتاب **"تهذيب الأخلاق"** بدا للباحث أن المسلك الذي سلكه ابن عدي يتسم بهذه السمة التي ذكرها دراز.

وللمزيد من المعلومات عن يحي بن عدي والراغب الأصفهاني اللذين هما مدار هذا البحث سوف يعرض الباحث بعض الدراسات السابقة عن هذين العالمين وإن لم يتيسر للباحث العثور على بعض الكتب في هذا الموضوع خاصة الذي يتناول عن يحي بن عدي وفكره الأخلاقي. فمن ضمن الدراسات السابقة التي ورد فيها ذكر الأصفهاني ونظرياته الأخلاقية يمكن أن يعرض هنا بعض الأفكار والمباحث عنه، سواء من خلال تمهيد أو تقديم لكتاب، أو إشارة في كتاب، أو رسالة جامعية، أو كتاب مستقل يتناول أفكار الأصفهاني ونظرياته بعامة.

ورد في تحقيق كتاب "**تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**" تقديم من المحقق عبد المجيد النجار لبعض الجوانب من حياة الراغب الأصفهاني وكتابه المحقَّق، تكلم المحقق موجزا عن حياة الأصفهاني ومكانته العلمية. ثم تكلم عن هذا الكتاب من حيث اسمه ونسبته إلى الأصفهاني، كما يلخص باختصار محتوى هذا الكتاب وأهم قضاياه ومنهج المؤلف في تأليف هذا الكتاب، ولم يأت المحقق في هذه المقدمة بتحليل أفكار الأصفهاني أو نظرياته، وإنما ما قام به المحقق عرض مضمون هذا الكتاب باختصار شديد لإعطاء القارئ لمحة سريعة عن هذا الكتاب، وهذا الكتاب من كتب الأصفهاني في الأخلاق الذي يجعله الباحث مرجعا أساسا لهذا البحث.

كذلك في كتاب آخر للراغب الأصفهاني، وهو كتاب "**الذريعة إلى مكارم الشريعة**"، ورد في مقدمته للمحقق ذكر الأصفهاني من حيث عقيدته ومذهبه بالإضافة إلى سيرته مكانته العلمية. تكلم أبو اليزيد العجمي، محقق هذا الكتاب، عن اتهام الأصفهاني بالتشيع والاعتزال ثم قام بمناقشته وتعديله لبيان الراجح في نظره، أما التعمق في كشف نظريات الأصفهاني الأخلاقية وتحليلها فلا يأتي المحقق بذلك إذ إن مهمته الأساس التحقيق لا التحليل لموضوع معيّن. وقد قام بترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية ياسين محمد بعنوان **The Path to Virtue:**

---

[١٦] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن**، ص ١٤.